الدور السياسي للنخبة المثقفة في العراق بعد 2003

ا.م.د. دينا هاتف مكي(*)
dinahatif@yahoo.com

الملخص :

تتبادر الى الذهن الكثير من الاسئلة عند الحديث عن الدور السياسي للنخبة المثقفة في العراق بعد 2003 ، هل هي نخبة واحدة ام مجموعة نخب ، و من هذا الامر أتشكل كتلة واحدة لها قوة و تاثير و تحمل ايديولوجية واحدة ام انها نخبة مفككة و من ثم تفتقد لاي تاثير ، هل هناك قيادة لهذه النخبة ام لا ، و هل يوجد صراع داخل هذه النخبة . و ما هي طبيعة هذه النخبة و هل تختلف عن النخب السابقة ام استمرار لها ام غيرت جلدها .واذا تناولنا دورها فهل تعمل كوسيط في المجتمع او مشرعة لتقاليد و افكار و عادات فيه ام خبير ينقل خبرته للسلطة و المجتمع معا .و هل يمثل المجتمع ام يمثل نفسه . و هل يغير المثقف العالم ككل ام يغير نفسه و قبل ذلك هل هو اداة تغيير اصلا . و ما اثر التحولات على صعيد المجتمع و الدولة و البناء الاجتماعي و السياسي و اثرها في المثقف ، و هل اضحى المثقف العراقي مثقف ديني ام حزبي ام هو مثقف مستقل و هل له دور سياسي بالفعل ، هذه اسئلة كثيرة نحاول الاجابة عليها في بحثنا هذا من خلال منهج تاريخي و مقارن .

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/ جامعة بغداد

The political role of the intellectual elite in Iraq after 2003

Assistant professor dr. Dina Hatif Maki

Abstract:

Many questions arise when we talk about the intellectual elite in Iraq after 2003 ,Is it one group or not ?Unified and has ideology with impact on the people or disunified with no effect at all ?Does this elite has leadership and there is inner conflicts in it or not? What is the nature of this elite , does it differ from the previous elite or continuous to it or has changed itself ?Considering its role ,does it work as a mediator in the society or as a legislator to ideas and thoughts ,or as an expert that transcend its knowledge to the society and the political authority as well? Is the intellectual elite going to change the world or change itself ,and before that is the intelligencia a tool of change in the first place ?What are the consequences of the changes in the society and the state on the intellectual elite ? Does the Iraqi intellectual turned into religious or party intellectual or an independent one and does he have a real political role ?

"ان الثقافة بمعناها الاشمل هي صناعة الحياة ، و الاشتغال على الطبيعة ، و شكل من اشكال التواصل والتبادل."[1]

" المثقف انسان و يتدخل و يدس انفه في ما لا يعنيه "[2]

" النخبة المثقفة عليها ان تدعو الناس لدخول التاريخ ، و لكن بطاقة الدعوة يجب ان تكون مكتوبة بلغة يفهمونها ."[3]

المقدمة :

تتبادر الى الذهن الكثير من الاسئلة عند الحديث عن الدور السياسي للنخبة المثقفة في العراق بعد 2003 ، هل هي نخبة واحدة ام مجموعة نخب ، و من هذا الامر أتشكل كتلة واحدة لها قوة و تاثير و تحمل ايديولوجية واحدة ام انها نخبة مفككة و من ثم تفتقد لاي تاثير ، هل هناك قيادة لهذه النخبة ام لا ، و هل يوجد صراع داخل هذه النخبة . و ما هي طبيعة هذه النخبة و هل تختلف عن النخب السابقة ام استمرار لها ام غيرت جلدها .واذا تناولنا

دورها فهل تعمل كوسيط في المجتمع او مشرعة لتقاليد و افكار و عادات فيه ام خبير ينقل خبرته للسلطة و المجتمع معا .و هل يمثل المجتمع ام يمثل نفسه . و هل يغير المثقف العالم ككل ام يغير نفسه و قبل ذلك هل هو اداة تغيير اصلا . و ما اثر التحولات على صعيد المجتمع و الدولة و البناء الاجتماعي و السياسي و اثرها في المثقف ، و هل اضحى المثقف العراقي مثقف ديني ام حزبي ام هو مثقف مستقل و هل له دور سياسي بالفعل ، هذه اسئلة كثيرة نحاول الاجابة عليها في بحثنا هذا من خلال منهج تاريخي و مقارن .

اولا – تعريف المثقف

رغم وجود تعاريف كثيرة و متعددة للمثقف و سبق استخدامها من قبل الكثير من الباحثين الا اننا نجد ضرورة لتعريف المثقف و من هذا التعريف ننطلق لمعرفة دوره ،اذ يعرفه بوردو من خلال انتمائه الى طبقة بعينها هي الطبقة المهيمنة فهو اي المثقف "جزء مهيمن من الطبقة المهيمنة "و هناك مصلحة و اعتمادية و تجاذب بين الاثنين[4].

و هناك من يربطه بالفاعلية الناتجة عن اكتسابه المعرفة ، فالاخيرة شرط لهذه الفاعلية فيعرفه على انه "من اكتسب شتى المعارف باعتباره عضوا فاعلا في المجتمع الانساني ، و هو من انتج شكلا من اشكال المعرفة الانسانية "[5] .

و يرى جون ستيوارت ميل ان المثقفين يمثلون طليعة المجتمع اذ يقودونه الى عالم افضل لانهم اكثر ثقافة و علما و اكثر حكمة و عقلا و يساعدون الناس في التحرر من القيود غير الضرورية من خلال افكارهم [6]. اي ان مهمتهم قيادة الناس الى حياة افضل نتيجة امتلاكهم المعرفة الضرورية .

اما فاكلاف هافل و الذي كان ناشطا و من ثم رئيسا لجمهورية التشيك فقد عرف المثقف ايضاً من خلال دوره بكونه ذلك الذي يجب ان يقوم دائما بالازعاج بشكل مستمر ، و ان يكون شاهداً على مأساة العالم ، ان يكون محرضاً عن طريق كونه مستقلاً ،و ان يتمرد على كل الضغوطات و التحكمات الظاهرية و الخفية ،وان يكون المتشكك الاكبر للانظمة القوة و شاهد على خداعها و كذبها [7].

و بالانتقال الى المثقفين العرب ،يرى مُحَّد عابد الجابري "ان المثقفين هم اولئك الذين يعرفون و يتكلمون . يتكلمون ليقولوا ما يعرفون ،و بالخصوص ليقوموا بالقيادة و التوجيه في عصر صار فيه الحكم فناً في القول قبل ان يكون شيئاً اخر ."[8]فهو يتحدث عنهم او يعرفهم من خلال دورهم المتمثل بالقيادة و التوجيه .

و يعرف برهان غليون المثقف العربي على انه الفرد الذي يتميز عن غيره بانه يجعل من التفكير في الواقع العربي و المصلحة العامة احد همومه و اهتماماته ، ويشارك في الصراع الاجتماعي و السياسي من اجل دفع هذا الواقع حسب الرؤى الذي يراها مشاركة و التي تتخذ اشكالاً مختلفة سياسية و فكرية [9].

و يتفق ادوارد سعيد مع الكثير من المثقفين العرب في " ان المثقفين او المفكرين هم افراد لهم رسالة ، و هي رسالة فن تمثيل شيء ما ، سواء كانوا يتحدثون او يكتبون او يعلمون الطلاب او يظهرون في التلفزيون ، و ترجع اهمية هذه الرسالة الى امكان الاعتراف بها علناً ،و الى انها تتضمن الالتزام و المخاطرة في الوقت نفسه ،و كذلك الجسارة و التعرض للخطر "[10].

معظم من يتحدث او يتناول المثقف ، يعمل ذلك من خلال دوره ، و ان اختلفت الرؤى في تعريف هذا الدور او تحديده او شكله ، و هل هناك حاجة له ، اي هل وجوده ضروري

ثانيا – الحاجة الى المثقف و طبيعة دوره :

هناك اكثر من وجهة نظر حول المثقفين و دورهم و الحاجة اليهم ، البعض يرى انهم منتجي المعرفة و دورهم يقتصر على هذا الأمر ، و البعض الاخر لا يقصر دورهم على انتاج المعرفة بقدر ما يرى فيهم ضمير المجتمع و لهم دور في تغييره او قيادته نحو الأفضل ،و آخر يرى فيهم وسيطاً ، ويعتقد آخرون انه لم يعد لديهم ما يقدموه، وتؤمن اطراف أخرى بانهم يساهمون في صناعة هذا العالم و بناءه ، و آخرون لا يرون فيهم اكثر من ابواق فارغة ،و كما يلي:

يحتاج الناس الى المثقف ليس لانهم لا يمتلكون المعرفة ، فهم يمتلكونها ربما أفضل منه بل و قادرين على التعبير عن انفسهم ،و لكن تكمن الحاجة الى المثقف في وجود نظام للقوة قد

يمنعهم من ذلك و يحد من حريتهم في الكلام و القول بل وحتى تحصيل المعرفة . و لا تكمن قوة النظام في الرقابة و حسب و انما في امكانية اختراق الشبكات الاجتماعية الموجودة بشكل كامل ، و احيانا يكون المثقفون جزء من نظام القوة هذا ، اذ ان فكرة مسؤوليتهم و وعيهم و خطابهم هو جزء من نظام القوة هذا [11] ، لذا يحتاج الناس هذا الامر فيهم يحتاجون الى الوعي و الخطاب كي يمثلهم .

وفقا لنعّوم تشومسكي تقع على المثقفين مسؤولية ،اذ ان عليهم كشف الحقيقة و فضح الكذب ، فهم بمثابة سيطرة نوعية لضمان الجودة أو فلترة أو التحكم بالاحداث التاريخية و الاخبار و الافكار الاساسية [12]، و يشترك معه كل من ادوارد سعيد و ميشيل فوكو في ضرورة قول الحقيقة للسلطة [13].

و قد وصف لويس كوسر عالم الاجتماع الامريكي المثقفين بانهم ورثة الانبياء و الرهبان . فهم "يشغلون انفسهم بالبحث عن و حماية الحقيقة و القيم الجماعية المقدسة التي تحكم الجماعة و المجتمع و الحضارة" [14].

ولا يأتي عمل المثقف من فراغ و انما نتيجة تمتعه بموهبة خاصة تعينه أو تؤهله لحمل رسالة أو تمثيل وجهة نظر أو موقف أو فلسفة أو رأي يقدمه الى المجتمع و يمثل هو المجتمع في نفس الوقت [15]. كما ان وظيفة المفكر انتاج الافكار و المفاهيم ، و خلق واقع فكري يترك اثاره على سير الافكار و الوقائع ، لذا يساهم المفكر في صنع العالم من خلال افكاره العابرة للحواجز و الحدود و الثقافات [16].

بمان ان المثقفين يشكلون جزء من النخبة الموجودة في المجتمع ، فهم أحد اجزاءها أو مكوناتها ، و من ثم تكون لهم وظيفة في هذا المجتمع بغض النظر عن الوظيفة الاصلية التي يقومون بها ، فهم يؤثرون في تحديد المصير العام للمجتمع ، و تشكيله و انتاجه بشروطه المختلفة عن طريق تجميع الاجزاء المختلفة الموجودة فيه، و بث الروح فيها بحيث تصبح كيان حي قادر على اداء الفعاليات الخاصة بكل مجتمع من حركة و تنظيم و اصلاح [17].

ويرى فوكو ان عليه دور أكبر من صناعة الافكار و انما ايضا دراسة الواقع و ايضاح نقاط القوة و الضعف في السلطة السياسية ، و ما الذي حققته او عجزت عنه ، و بكلمات أخرى "الكشف عن ساحة المعركة بكل ما فيها "لكن ليس من مهمته ان يقول للناس ماذا عليهم ان يفعلوا فهذا ليس دوره [18].

هناك من ينتقد الدور الذي يقوم به المثقفون في الوقت الحالي و الذي أثر في صورتهم ككل ، فهذه الصورة ما عادت براقة كما كانت في السابق و تجتذب الناس اليها بحيث يصغون و يصدقون ما يقوله المثقفون ،و من ثم فقد المثقفون قدرتهم على التاثير في الناس ، و يعود هذا الى ان المثقفين أنفسهم لم يعودوا يعرفون اكثر مما يعرف بقية الناس ، كما ان سير الاحداث يختلف عما يقوله المثقفون أو يطالبون به ، واضحى المثقفون "سحرة يصنعون المعاني و يبيعون الاوهام " كما يقول ريجيس دوبريه ، لان جل اهتمامهم لم يعد قضايا مجتمعهم و انما حماية افكارهم و هوياتهم . و يضاف لها فكرة اذا كان المفكر هو "من يبين ان الحقيقة هي دوماً اقل حقيقية مما نحسب " فان المثقف هو من ينجح في خداع الناس "و هذه احدى الصورة السلبية للمثقف [19].

و سبق ان قال ماركس "آن للفلاسفة ان ينتقلوا من الانشغال بفهم العالم الى العمل على تغييره" ، و قد عمل المثقفون بهذا القول لكنهم لم يحققوا النتائج المطلوبة ، ذلك ان العالم في تغير مستمر نتيجة تغير أدوات فهمه و التعامل معه ، بتغير الافكار و طرق التفكير ، لذا يحتاجون الى اقامة صلات جديدة تتناسب مع تغيره[20]، فلا بد للمثقف من التكيف مع المتغيرات الحاصلة بحيث يظل ممارساً لدوره المطلوب في التغيير .

على المثقف واجب قول الحقيقة للاشخاص الذين يتوجب عليهم ان يسمعوه ، لان الآخرين لا يستطيعون قول الحقيقة اذ انهم ممنوعين من ذلك ، و عند قوله الحقيقة يجب ان يكون واعياً و واضحاً و محدداً فيما يقول[21].

كان بيير بوردو مهتماً بالدور التقدمي الذي يؤديه المثقفون ، فلا يمكن التخلي عن دورهم – على اختلاف انواعهم – من اجل السعي لتحقيق العدالة الاجتماعية و الاقتصادية ، اذ يرى

في المثقف وكيل اجتماعي و عليه مسؤولية اجتماعية ، و اذا اراد الاكاديمي الخروج من دائرة الوظيفة الضيقة الى دائرة المثقف العام الواسعة فعليه الاهتمام بمواضيع أوسع من اختصاصه الدقيق تتعلق بالسياسة و الاخلاق و السلطة و الايديولوجيا [22].

ونتيجة لما سبق يقوم المثقفون أو يكونون مسؤولين عن بناء السلطة ، فهم جزء من النخبة العامة القيادية في المجتمع المسؤولة عن تشكيل السلطة وتنظيمها و تنظيم الشؤون العامة[23].

بالنسبة لكل من بوردو و فوكو ان المثقفين – المثقفين المسيسين . هم الذين يشكلون نقاط المقاومة و التمرد و التمكين في عالم اليوم . و المثقفون المسيسون ليسوا هم ذلك الجزء من المثقفين الذين يشكلون جزء من العالم الاكاديمي في ابراجه العاجية و يتمتعون بامتيازاته و انما هم الاشخاص الذين يستخدمون معرفتهم و كفاءتهم و علاقتهم بالحقيقة في مجال الصراع السياسي .هؤلاء الاشخاص فاعلين ضمن اماكنهم ،و هم يفكرون باثارة المشاكل بدلاً من حلها .فهم يشككون بما هو مقبول بكونه لا يمكن تجنبه و يضعون العوائق الاجتماعية امام الاجندة السياسية .بالنسبة لفوكو الانتقاد هو دائماً ممارسة استراتيجية ضمن شبكة السلطة / المعرفة[24]. اذاً تكون وظيفة المثقف المقاومة ، مقاومة الخطاب السائد وكسر وحدة هذا الخطاب الذي يمثل القوة الرمزية للسلطة القائمة، والنضال ضد أشكال السلطة التي تحوله الى غرض و اداة في مجال المعرفة [25].

و في موقفه من السلطة ايضاً ، يمكن ان نعد المثقف منتج لما يمكن ان يربطه بهيكل المجتمع و في نفس الوقت من الممكن ان يدعو الى هدم التناقضات القائمة فيه ، فهو اداة بناء وهدم في ان واحد ، ويمكن تحديد ماهيته في ضوء موقفه من النظام ان كان يدعو الى بنائه او هدمه او تغييره [26].

ولابد من امتلاك المثقف لصفات تؤهله لان يقوم دائماً بمعارضة السلطة القائمة، لكن الى جانب ذلك هناك حقيقة وجود نوع من الاعتمادية بين المثقف والسلطة، فالمثقف يمتلك سلطة رمزية لكنه في نفس الوقت يخضع الى من يمتلك السلطة السياسية و الاقتصادية ،فهو ليس حراً و انما مقيد [27].

يعتقد الكثير ان دور المفكر هو دور الوسيط ، وسيط فكري و وسيط مكاني ، اما الوسيط الفكري فيهتم بالافكار الكبيرة و المهمة القادرة على احداث تأثير و تغيير ، و بالذات الافكار الناقلة او الفاعلة و ليس الافكار التنبوئية .فالافكار هي القادرة على احداث تغيير و اختلاف على مجرى الاحداث [28].

اذ يعمل المثقف هنا كمحفز ومدبر وكما لوكان عامل وسيط أو فاعل وسيط بين الافكار، ويمكن ان نقول ان الوسيط هو العامل المحفز الذي يحرك الامور، اي انه يرتبط بالحركة وليس السكون، فهنا دور المثقف يرتبط بفعاليته و حركته و تأثيره و ليس سكونه . فعندما نتحدث هنا عن الوساطة لا نعني بها الوساطة المكانية اي عندما يتوسط الاشياء او المصالح بكونه فاعل سلبي وانما يكون فاعل ايجابي بحيث ان الفكرة التي يتحدث بها عندما يستحدثها و يحاول استخدامها و التاثير بها ذلك انها تكون اكثر تاثيرا و اهمية ، اذ يؤدي المثقف هنا دور الوساطة اي كما لو انه يقوم بالتجارب بين الافكار، فهو يقوم بايجاد افكار جديدة من تفاعلات وعمليات و ليس مجرد الالهام ، فصناعة الافكار ليست اكثر من كونها عملية توسط. وعليه لا يكون هناك جدوى من الافكار ما لم نستطع التاثير بها اي ان تكون وسيطة او محفزة ، فليس هناك جدوى من نشر افكار تمر مرور الكرام و لا تؤثر في الناس، و انما لا بد من ان تكون فعالة و مؤدية أو محفزة و قادرة على جذب الانتباه و احداث التغيير و الانتقال و الاخير هنا لا يكون مكانياً و انما زمانياً ، ذلك انها تغيرنا من حال الى حال و من وضع الى اخر بغض النظر عن طبيعة هذه الافكار فهي في النهاية ترتبط بقدرتها على الاختراع و التجديد و التاثير [29].

فعلى المثقف دور يتمثل بالاهتمام بقضايا و شؤون مجتمعه والمجتمع الانساني الاوسع في مسائل الحقوق و الحريات و الدفاع عنها بكتاباته و مواقفه، وعليه توجيه الرأي العام وتقع عليه ايضا مسؤولية التنوير و حماية مصلحة الامة، اي ان عمله يشابه عمل السياسي أو هو الوجه الاخر له [30].

وتقع على عاتقه ايضا ادوار مهمة انطلاقاً من دور الثقافة نفسها اذ تمارس دورين كعامل جمع و توحيد و ايضا كعامل عزل و تمايز ، فهي تجمع أو تدمج افراد معينيين ، و في نفس الوقت تقوم بعزلهم عن الجماعات الاخرى، و ان كان التوحيد أو الدمج هو الدور الاكبر و الاهم [31].

نتيجة التغيرات الدولية لم يعد المثقفون يمثلون الناطقين باسم الانسانية ، و حماة العدالة و الحقيقة و بانهم يمثلون ضمير و وعي المجتمع ، بل اصبحوا هم الاشخاص ذوي العلاقة المباشرة بالمعرفة و التي هي بدورها اداة للسلطة . لذا فان وظيفة المثقف هي ليست ايقاظ الضمير و انما العمل" الى جانب هؤلاء الساعين من اجل القوة و السلطة و لا يقتصر دورهم على التنظير عن بعد "[32].

ثالثا – من هو المثقف أو من هو من ابناء المجتمع

يرى غرامشي ان لكل طبقة مثقفيها الذين يعبرون عنها ، و تعمل هذه الطبقة على خلق مثقفيها الخاصين بها، اي انهم اي المثقفين لا يشكلون طبقة خاصة بهم فهم موزعين بين الطبقات، وفي هذه الطبقة يكون لهم دور يتمثل في تحقيق الانسجام داخلها فضلاً عن دورهم في الهيمنة والسيطرة والتوجيه فيها. ويتحدد وصف المثقف من خلال الجماعة التي يرتبط بها ويعبر عن مصالحها فهو مثقفي تقليدي عندما يرتبط بالطبقات التقليدية القديمة، ويوصف بالجديد و الناقد عندما يرتبط بتلك المجموعات الطامحة والصاعدة في المجتمع .اما وضعه من حيث كونه اداة بيد السلطة أو معبر عن المجتمع المدني فيتحدد من حيث ارتباطه بكل منهما و تعبيره عنهما[33].

فالمثقفون بمجموعهم يشكلون فواعل اجتماعية وليسوا مجرد مجموعة من الافراد تجتمع لاسباب مهنية او علمية او فكرية، اذ يشكلون قوة محركة، وليس مجرد ابداع فكري[34].

ومن ثم فان المثقفين لا يشكلون طبقة واحدة أو فئة واحدة أو مجموعة فكرية واحدة و لا هي مجموعة حزبية و انما هي مكانة أو وظيفة اجتماعية يشغلها و يقوم بها اشخاص متميزون

باهدافهم و افكارهم ، و هؤلاء الاشخاص لديهم موقف سياسي و ممارسة سياسية بغض النظر عن طبيعتها [35].

كل من يقدم افكار او اراء او يشارك في المجال العام يمكن ان يكون مثقفا " لذا قد لا يشتغل المفكر في العمل الثقافي بالضرورة ، و قد قال غرامشي ان كل انسان مثقف بالضرورة ،و لكن لا يتولى جميعهم وظيفة المثقف في المجتمع .و يشكل الاشخاص ذوي الخلفيات المختلفة بمجموعهم نخبة مثقفة اذ قد يكونوا ساسة او رجال دين او اكاديميين او نشطاء او اعلاميين اي ان المثقف هو من يحترف مخاطبة المجال العام و يعمل على تحطيم الافكار من خلال العمل التحليلي و هم ايضا ماهرين في التاثير على الاخرين من خلال استخدام وسائل الاعلام و النشر و التواصل على اختلاف انواعها .[36]

و شروط النخبة المثقفة أو الانتلجنسيا و الانتماء اليها وفقاً لبرهان غليون هي التفكير في الواقع الاجتماعي و السياسي و محاولة تغييره أو المشاركة في هذا التغيير ،و هذان الشرطان هما اللذان يوحدان النخبة ، اذ يوجد بينها اطار تفكير واحد فيما يخص المشاكل و ايجاد الحلول و اتخاذ مواقف مشتركة تجاهها .[37]يضاف لها الوعي ،الحياد ،و الاهتمام بالشان الثقافي و الاجتماعي ، و الصدق و الشجاعة و الالتزام تجاه القضايا العامة و النضال من اجلها ، فضلاً عن نقد الحاكم و معارضة بعض الاوضاع السياسية الجامدة ، و كشف الظلم ، و تمثيل ضمير المجتمع ، و ايضاً العمل في المجال الثقافي من اجل خلق الوعي و نشره بين الناس و التأثير في المجتمع من خلال عملهم الثقافي،و طبعاً الترابط بين الفكر و الممارسة او السلوك [38].

رابعا – اشكال المثقف

يأخذ المثقف اشكال كثيرة و تقسيمات عديدة ،فقد رآى فيه علي حرب مثلا الطوباوي، والاكاديمي المدرسي، والحزبي الفئوي [39]. لكن المثقف بغض النظر عن شكله "طوباوي او عضوي ، ثوري أم اصلاحي ، قومي أم امي ، اختصاصي أم شمولي ، متفرغ لمهمته أم غير

متفرغ " ينشغل بتوجيه الرأي العام و يدخل في السجال العام و تشغله الحقوق و الحريات و يدافع عنها سواء كانت داخل حدود دولته أم على الصعيد الانساني ككل [40].

و لكن يمكن تقسيمه ايضاً الى أربعة أنواع هي : مثقف السلطة و يتصف بقلة الابداع و ضعيف في مجال النقد و الفكر .و المثقف النقدي المستقل و يمتلك شخصية مستقلة لكنه غير قادر على التنبؤ بما يحصل على صعيد الواقع . و المثقف العضوي الذي تحدث عنه غرامشي .و المثقف المعزول الذي آثر الانعزال بتجرته التي يعبر عنها من خلال افكاره بشكل شعر أو فن أو حتى تصوف[41].والمثقف المنعزل الذي يهتم بوحدته يتخلى عن دوره كمثقف "رسولي" يدافع عن القضايا العامة ، و حتى يتحول الى مجرد كاتب ، ذلك انه يفقد صفته كمثقف مع تحوله الى مجرد ممارس لحرفة أو مهنة ويعبر عن تجربته [42].

خامسا – العلاقة بين المثقف و السلطة

تنبع هذه العلاقة من موقف النخبة المثقفة من السلطة و العكس أي موقف الاخيرة منها و وضع المثقف بشكل عام في المجتمع و المكانة التي يتمتع بها .

يرى خدوري ان النخبة المثقفة ترى و تعقل عدم العدالة التي يتعرض لها غالبية الشعب و تأخذ على عاتقها صياغة "عقيدة وطنية " لمواجهة و ازالة عدم العدالة التي يعانيها الناس و من ثم يتوحد الناس و النخبة تحت نفس العنوان ،و لكن اهداف النخبة المثقفة تكون ابعد من تلك التي للعامة من ازالة انعدام العدالة اذ تصل الى الحصول على سلطة في المجتمع و اكتساب وضعية متميزة فيما يتعلق بالمركز و التميز[43].

وهنا قد تكون هناك تسوية مؤقتة بين الطرفين – المثقف و السلطة السياسية – وعند حصول تسوية بينهما عندئذ يقوم المثقف باعطاء صك الغفران أو الشرعية للسلطة مقابل الحصول على العوائد و الامتيازات ، عندئذ يعمل الاثنان على تعزيز النظام القائم أو السلطة القائمة بدلاً من اضعافها أو انتقادها [44].

ويرى ادوارد سعيد ان المثقف مختلف عن الآخرين في القدرة الموجودة لديه في ايضاح رسالة معينة او رؤية او موقف و ايصالها الى الناس و تكون في مصلحتهم .و في الحقيقة هذه المهمة

ليست بالسهلة لان من واجب المثقف الخوض في مواضيع قد يتخوف الآخرون من الخوض فيها او التطرق اليها ، و محاولة ايصال اسئلته علناً الى الآخرين ، و في هذه الحالة لا بد للمثقف من ان يكون رقماً صعباً لا يسهل احتواءه من قبل نظام او غيره ، ذلك ان مهمته الاصلية هي الدفاع عن مصالح الناس و تمثيلهم و بالذات في القضايا التي يتم تجاهلها عمداً [45].

يستخدم المثقف سلعة الكلام و الكتابة فهي بضاعته الرئيسة و التي تعطيه سلطة نتيجة انتاجه للمعرفة و النصوص و العقيدة و غيرها من الانتاج الثقافي على اختلاف انواعه ، مما يجعل منه صاحب امتياز و حظوة في المجتمع يتميز عن الاخرين و يكون جزء من النخبة [46].

و اذا امتلك المثقف السلطة و كان في الحكم راى السلطة عاجزة ، في حين يراها من لا يحكم بانها قوة ، او يعتقد المثقف انها وسيلة لتحقيق غاية و الاخيرة تتمثل في العمل الاجتماعي و السياسي ، لكن تاثيرها بطيء . و بهذا يدرك المثقف الحاكم وجود فجوة بين الفكر و التطبيق، بين الحلم و الواقع ، و تكمن المشكلة الاكبر في محاولة تغيير الواقع[47].

اذا تمكن المثقف من العمل بأمان و احتل مركز وظيفي و اجتماعي يتناسب و التعليم الذي حصل عليه، واذا تمكن من التفكير و الكتابة و التعبير بحرية سنجد أمامنا مثقف معتدل ، و لكن اذا حُرم المثقف من كل هذا فلم يجد العمل المناسب مع كفائته و عندما يحرم من حرية التعبير و البحث ، من الممكن ان يتحول هذا المثقف الى التطرف فيظهر المثقف المتطرف او المتطرف السياسي [48].

يجب ان يتبنى المثقف الثوري السياسة ليس فيما يتعلق بالسلطة و الحكم و انما حركة المجتمع و ظواهره السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية بشكل شمولي [49].

اذا ارادت النخبة المثقفة مقاومة السلطة فلابد من توافر عدة شروط من اجل ذلك منها : وجود جماعات منظمة بشكل جيد ،وجود عدد كبير من المثقفين المستقلين ، ان تكون هناك هوية متميزة لجماعة المثقفين ، و وجود نظام قمع معتدل (وسيط) يفتقر الى الوسائل او

الارادة لقمع المعارضة ، وجود الانقسامات ضمن الجماعة الحاكمة ، ومخزون ثقافي تاريخي من المقاومة [50].

و قد يعتقد بعض المثقفين و من يدور في فلكهم ان من يمتلك تعليم عالي اكثر من غيره يمتلك حق الوصاية على الآخرين و ان يحددوا لهم ما يجب فعله من عدمه ، و هنا يغفلون ان الآخرين قد تكون لديهم معرفة اوسع مما لديهم لكنها منتشرة و موزعة بين افراد غير بارزين في المجتمع [51].

و لكن اذا كان احد اوصاف المثقف بالصانع للازمات و المشاكل اصبح هو الان في ازمة ، بعد ان دخل العالم في تحولات كثيرة على صعيد الفكر و على صعيد الواقع و التي كان لها اثرها على النظم و المؤسسات و التي لم يستطع المثقف التنبوء بها او اللحاق بها .و لم يعد المثقف يمثل ضمير الناس و ليس باستطاعته بعد الان ان يفكر بالنيابة عن الآخرين بعد ان فاجاته الاحداث مثله مثل بقية الناس ، و هو ما اكد عليه فوكو من ان المثقف الكوني لم يعد الشخص الوحيد المالك للحقيقة و الممثل للناس ، ذلك انه لم يعد بامكانه قول الحقيقة لهم لانه لا يعرفها اكثر منهم . فالحقيقة وفقا لفوكو هي أداة بيد السلطة تستخدم فيها الاستبعاد و التلاعب و التعتيم [52].

يعد الناس المثقف ضمير الامة و معبراً عن قيمها و فكرها ، و لكن اذا تخلى هذا المثقف عن دوره سيتحول الى مثقف سلطة ، و هناك بعض المثقفين ينطلق في فكره و مواقفه من موقف ديني أو اثني أو طائفي منحاز عندئذ يفقد صورته كمثقف وطني و يتحول الى مثقف طائفي وعرقي، و كذلك الذي يغير موقفه بتغير النظام السياسي و الظروف و الاحوال عندئذ نطلق عليه مثقف وصولي، وهناك بعض المثقفين المتمكنين عقلاً وادراكاً لكنهم فضلوا الانحياز لايديولوجية بعينها، ووضعوا انفسهم في خدمة السلطة المدافعة عن هذه الايديولوجية عندئذ يمكن وصفه بمثقف دوغمائي. في ظل هذه الامور جميعاً كيف يمكن ان نصف الشخص بالمثقف و هو يفتقد لاحد شروط الثقافة في رفض الانغلاق و التعصب و ضيق النظرة [53].

هناك حالة من الخلاف المستمر بين السياسي والمثقف وهو أمر متوقع يعود الى الفرق بين دور و هدف كل منهما ، فاذا كان السياسي رجل فن الممكن فان المثقف رجل فن ما ينبغي ان يكون، ينشغل السياسي بالفعل والعمل وفقا لمقتضيات الحكم و مصالحه و غالباً ما يعمل من اجل الحفاظ على الواقع و تثبيت اركانه، اما المثقف ونظراً لكونه رجل الافكار يفكر في المستقبل وليس الحاضر، ويرفض الثبات لانه من الممكن ان يؤدي الى اغفال مصالح الناس .لكن هذا لا يعني ان الخلاف لا بد ان يؤدي الى صدام دائم بينهما و انعدام التعاون، لان مهمة المثقف الحقيقية المساعدة في ايجاد الحلول للمشكلات في المجتمع و للمشكلات بين السلطة والمجتمع، اكثر من دخوله في صدام مع السلطة [54].

بما ان المثقفين ليسوا مجموعة متجانسة، وكل منهم يعبر عن جماعة بعينها أو عن السلطة ، لكن هذا لا يعني انه في حالة وفاق مع السلطة و يعطيها الشرعية أو في حالة وفاق دائم مع المجتمع المدني فالخلافات معهم دائمة [55].

و هناك من يحمل صورة مبالغ فيها للمثقف و كونه لا يقبل التنازل عن مبادئه عندما يتعلق الامر بالحرية و الكرامة ، و لا تتغير هذه المباديء بتغير الاحوال و الازمان ، و ضرورة استخدامه لما يحمل من افكار و قيم من اجل الدفاع عن وطنه في اوقات الانكسار اكثر منها في اوقات العز [56].

يمكن للمثقف ان يدافع عن الرموز و القيم الكونية التي تعتمد او تبنى على حقوق الانسان والمواطنة والحريات وهو هنا يتقاطع او يعمل بالتنافس مع رجال الدين في دفاعهم عن رموزهم و طقوسهم و معتقداتهم الدينية[57].

يقوم المثقفون بشكل دائم بانتقاد الاوضاع و يدعون لتكسير الهياكل السائدة لذا يشكلون تهديد للسلطات بغض النظر عن طبيعة هؤلاء المثقفين او شكلهم [58].

ويصبح دور المثقف هنا ليس الوقوف في المقدمة للتعبير عن مطالب المجتمع و انما للسعي لان لا يصبح اداة و شيء بيد السلطة او بيد نظام القوة هذا الموجود في المجتمع في مجال

الوعي و المعرفة و الضمير و الخطاب[59] ، اي انه يسعى لتحرير نفسه اولا من قبضة السلطة، فحريته امر مهم لكي يقوم بتمثيل العامة .

سادسا – مثقف العامة

المثقف العام او مثقف العامة وفقا لغرامشي "هو ذلك الذي يقوم بوظائف تنظيمية و توجيهية و التي تشكل اجزاء تكوينية من المجتمع المدني و المجتمع السياسي ." و لذا فهو يؤكد على ان مهمته اي مثقف العامة كوكيل للاصلاح المعنوي و الثقافي [60].

ومثقف العامة هو نوع من المثقفين العضويين الذي يصل الجمهور بالسلطة السياسة من خلال شبكة من العلاقات الاجتماعية، وعليه تقع مهمة اقناع العامة من خلال الكتلة التاريخية التي يشكلها مجموع المثقفين، فهو عامل وسطي بين الحاكم و المحكوم [61].

يقوم هذا المثقف بتمثيل القضايا والناس المنسيين انطلاقا من المباديء العالمية في الحقوق والحريات وضرورة الحفاظ لجميع الناس على حقوقهم وحرياتهم واي انتهاك لها لا بد من مواجهته بقوة .[62]

احدى وظائف مثقف العامة هي وضع رؤية تعطي مشروعية للنظام و الدولة ، فالنظام السياسي يصعب عليه العمل دون ارساء سلطته على رؤية معينة تستلهم من احداث الماضي و تتسق مع المجتمع وقيمه ومعتقداته و اماله واهدافه بحيث يتقبلون سياساته و تقع مهمة وضع هذه الرؤية على المثقفين.[63]

وعند وضع هذه الرؤية يقوم كل مثقف باستلهام التاريخ و التراث من وجهة نظره هو ، فيأخذ ما يرغب به و يترك ما يرغب ايضا، ومن الممكن ان يحدث خلاف بين المثقفين في هذا الامر وصراع فيما بينهم حول تفسير التراث، وفي هذا المجال من الممكن ان يحصل خلاف بينهم اي المثقفين وبين توجه السلطة الحاكمة في رؤيتها للتاريخ وتفسيرها للتراث.[64]

وفي نفس الوقت يحتاج مثقف العامة الى الناس اذا ما اراد ان يحقق تغييرا او في صراعه مع السلطة، و لكن هذ يعتمد على قدرته على استمالتهم و هنا لا بد له من ان يتكلم بلغتهم اي يستطيع ان يصل الى عقوله ويخاطبهم بالطريقة التي يفكرون بها ،و يستخدم الثقافة التي

يستعملونها وان يحاول ايجاد حل للخلافات والتنوعات الموجودة في المجتمع بحيث يتم تجاوزها [65].

وفقا لادوارد سعيد يجب ان لا ينعزل المثقفون عن الناس بحيث يشكلون طبقة ارستقراطية وانما لا بد لهم من استمالة اكبر عدد ممكن من الناس والمفترض ان يكونوا عامة الناس او مجموع الناس و ليس جزء منهم فقط مهما كانوا حزبيين او غيرهم ، لانهم اذا فعلوا ذلك يتحولون عن دورهم كمثقفين ليصبحوا سياسيين يستخدمونهم للوصول الى السلطة . وكما انه لا يجب الميل الى السلطة الى فلا يجب الميل الى العامة ايضاً في كل ما يقولوه واتباعهم[66].

سابعا – المثقف في الوطن العربي

تكمن مشكلة المثقف في عالمنا العربي في انه منفصل عن الواقع و غير منغمس به ، و يرى ان المشكلة تكمن في الواقع المعاش و ليس الافكار التي يحملها او يروج لها ، و اهتمامه بنسق الافكار التي يحملها اكثر من اهتمامه بالواقع الذي يعيشه ، لذا اصبح المثقف فاقد للقدرة على توقع الاحداث و يخضع للمتغيرات كما يخضع عامة الناس لا بل يتفاجأ بها [67].

واذا كان المثقف يسعى الى نقد السياسي فانما يفعل ذلك من اجل الحصول على المشروعية في أعين المواطنين ، و كل منهما اي المثقف و السياسي يمارس تسلطه على الناس، الاول على عقولهم و افكارهم بما له من قوة و سلطة معنوية ،و الثاني على اجسادهم بما له من قوة و سلطة مادية [68].

في السابق كان رجال الدين يمثلون النخبة المثقفة نتيجة امتلاكهم العلم و المعرفة و النشاط الثقافي ، لكن مع انتشار التعليم تم كسر احتكارهم للنخبة و شاركهم آخرون فيها . و هنا انقسمت النخبة المثقفة الى قسمين، قسم يرتبط بالغيبيات و الموروث الديني و يخضع للتفسيرات الدينية و يرتبط احيانا بالخرافة و الاستسلام و الانقياد لرجال الدين ، و قسم اخر يرتبط بالحداثة التي وفدت الى المنطقة من الخارج منفصل عن نسيجها التاريخي و ارتبط بالعلم و ليس الدين ، و هنا حصل الانفصام بين النخبة المثقفة الدينية و العلمانية و بين الدين و العلم [69].

و احد اشكال المثقف العضوي في عالمنا العربي اليوم رجل الدين سواء وقف ضد السلطة ام الى جانبها و بحمايتها ، فهو يمتلك العلم الديني الذي منحه مهنة و سلطة ، وظيفة او مهنة يرتزق منها فضلاً عن السلطة الدينية التي يمارسها على الناس .و اصبح مثل هذا المثقف يشكل دعامة للسلطة و استقرارها نتيجة للسلطة الروحية التي يمتلكها على الناس و هو يفضل استمرار الوضع القائم حفاظا على مصالحه [70].

يمارس المثقف – او النخبة المثقفة – في العالم العربي اكثر من دور، فهو جزء من نظام الدولة و في نفس الوقت اداة تعبير عن المجتمع ، جزء من نظام الدولة لانه موجود في مؤسساتها التي تضخ الايديولوجية ، و معبر عن المجتمع لانه جزء منهم يرتبط بالمجتمع المدني و يعبر عن الجماعات المتنوعة فيه . اي انه ليس موظف في الدولة فحسب و انما ممثل للمجتمع المدني ، اي انه يقع في خضم الاحداث و العلاقات بين الطرفين المجتمع و الدولة ، و من ثم تختلف وجهة النظر فيه ، فهناك من يراه على انه مرتزق يعمل لصالح من يدفع له الاجر دولة كانت أم جماعة معارضة ، و هناك من يرى انه يعمل لدى الاثنين [71].

لم يمارس المثقف العربي الدور الذي مارسه المثقف في الغرب ، اذ لم يشارك في صناعة الرأي او صياغة الوعي الجماعي او حتى أثر في الصيرورة التاريخية ، و لم يصل الى ما وصل اليه العلماء و الفلاسفة في العصر الاسلامي من دور و تاثير ، فلم تكن له سلطة رمزية معترف بها ، فقد كان له دور و اهمية في ذلك العصر لم يتمتع بها المثقف المعاصر فلم يقم علاقة متوازنة مع السلطة و لم يستطع اكتساب المشروعية ، لا بل تراجع دوره في مقابل تزايد دور المثقف الداعية و الاخير ساهم في تراجع الاوضاع و تقييد الحريات [72].

اثبتت الاحداث ان المثقفين العرب من دعاة الحرية و الثورة فشلوا في تحقيق ما دعوا اليه و لم يتمكنوا من التعامل مع قضاياهم و الواقع الموجودين فيه مما يعني انهم لا يعرفون كيف تجري الامور و استخدموا آليات لا تتناسب و الواقع ،و لربما انطلاقا من ابراجهم العاجية اقتصروا على عقد المؤتمرات و اصدار البيانات للتعليق على تطورات الاحداث سواء فيما يتعلق بالحريات و التنمية او حتى النزاعات و الحروب [73].

و من كان يفكر عن الناس او يعتقد ان مهمته تحريرهم و توعيتهم وقع في مفارقة ، اما انه اقام سلطة استبدادية عليهم او لم يحقق سوى الفشل نتيجة عمله . و ياتي هذا نتيجة ان المجموع عندما يوجد من يفكر عنه من السهل قياده و استخدامه سواء من قبل السلطة او رجال الدين او الاحزاب السياسية . كما ان من يسهل استخدامه يمكن تحويله عن هدفه ، فالجمهور خاضع للتحويل و التاثير بفعل الحافز المؤثر [74].

و مع التغييرات التي جرت على عالمنا لم يكن بيد المثقفين – على اختلاف انواعهم – شيء سوى ان يتفاجأوا بما يحدث ، فلم يساهموا بصنع الاحداث و انما اصبحوا متلقين لها [75].

بما ان المثقف العربي ينتمي الى الطبقة الوسطى او الوسطى الصغيرة فهو لا يمتلك الاستقلالية المادية ، و من ثم تشكل المادة جزء مهم و قوي في حياته و تؤثر في قراره و توجهه ، اذ لا يستطيع هذا المثقف الخروج من طبقته و الصعود الى الطبقة الاعلى الا نادراً ، لذا نجد ان مواقفه الفكرية متذبذبة و من ثم يغير مواقفه وفقا لتوجهات النظام بل و تبدل النظام ، ومن هنا يمكن ان نصف المثقف بالانتهازية اذ من اجل ان يضمن مستقبله لا بد له من ان يساير النظام فلا سند لهذا المثقف في الراي العام اذا حاول ان يتمسك بمبادئه و اذا فعل فعليه اما ان يصمت او ان يثور او ربما الهجرة [76].

و مع مرور المجتمع العربي بازمات كثيرة يخذ المثقفون مواقف عدة بين مؤيد و معارض ، لكن هذه المواقف لا تبنى على فراغ و انما في اطار مصالحهم الذاتية ، لذا تتراوح مواقفهم من السلطة وفقا للمصالح و المنافع لا بل و المراكز التي يحصلون عليها داخل السلطة ، فنجدهم يتقربون من حاكم او يبتعدون عنه ، يبررون لايديولوجيته في مرحلة معينة و مع تغير الاخيرة يبررون لتلك الجديدة و هكذا وفقا للمصالح التي يتحصلون عليها [77].

يحاول المثقف المالك للمعرفة ان يحول هذه المعرفة الى سلطة اجتماعية و يعتمد هذا الامر على وضع المثقف نفسه في المجتمع وأهمية المعرفة فيه ،و على طبيعة الايديولوجيا السائدة فيه، و يحتاج المثقف هنا الى اعتراف الآخرين بهذه السلطة و ان يسلك طرق مختلفة لنيلها[78].

ثامنا – النخبة المثقفة في العراق

هل يختلف دور النخبة المثقفة في النظم التقليدية عن تلك العقلانية ، العراق يراوح بين سلطتين تقليدية متمثلة برجال الدين و القبيلة و سلطة نظام سياسي يفترض به ان يكون حديثاً و عقلانياً لكنه يرجع ليستند على رجال الدين و القبيلة، فما هو دور المثقف هنا هل يمارس دور المهرج في بلاط السلطان ام المثقف العضوي الذي يمثل جماعته .واذا اذا كان المثقف في السابق يمثل طبقة او حزب او ايديولوجية فهو اليوم يمثل طائفة او ديانة او قومية او عشيرة او اثنية محدودة و لا يمثل المجتمع كله و يتقرب من السلطة حسب قربه من الجهة التي ينتمي اليها و درجة قرابتها او بعدها عن السلطة.

في ظل النظام السابق كانت هناك حرية في الكتابة و النشر ما دامت لا تتعارض مع اهداف الحزب و النظام و استراتيجياته او الشعارات التي يرفعها ، و من ثم كان هناك من يحاول عدم المساس بهذه الامور و ينشغل بالامور الثقافية المتنوعة عدا هذه الامور – لكنه هنا فقد صفة اساسية من صفات المثقف الا و هي الالتزام – و هناك من حاول السير مع رغبات النظام و الانتفاع من الامتيازات التي يحصل عليها في المقابل ، اما الفئة الثالثة منهم فهي الفئة التي آمنت بافكار النظام و عقيدته و دافعت عنها انطلاقا من اعتقادها بها [79].

و عند النظر الى الحياة السياسية حالياً و وضع المثقفين فيها ، نجد انه لا توجد جماعات منظمة بشكل جيد ، فبسبب من سياسات النظام السابق لم توجد احزاب سياسية فلم تكن هناك حياة حزبية و اضطر جميع المعارضين الى مغادرة البلد ، وعدد كبير من المثقفين تم احتوائه ضمن مؤسسات الدولة مثل وزارة الثقافة و الاعلام والصحافة الحكومية و عليه لا يوجد مثقفون مستقلون فهم يعتمدون على الدولة و على حسن نية المسؤولين ، و لا يشكلون جماعة مستقلة اذ يصعب عليهم ذلك و يصعب عليهم الحراك و التعبئة ،اما النظام فلديه الارادة و الوسائل لقمع اية معارضة ضده .كما لم تكن هناك انقسامات واضحة ضمن النخبة الحاكمة .اي لم تكن الظروف مواتية لقيام معارضة . فالرعب يقوم بدوره ، و المثقف ياخذ بالحسبان الامتيازات التي يحصل عليها في حال تماشيه مع النظام و الكلف العالية التي

يدفعها في حالة المعارضة ، لهذا لا نستغرب ان جزء من المثقفين الذين يفترض بهم ان يقاوموا حاولوا تسوية اوضاعهم مع السلطة [80].

ومع انه اثناء الحصار المفروض على العراق ، لم تكن آلة القمع بقوتها السابقة ,كما ان نظام العمالة (العميل – الزبون) او الزبائنية التابع للدولة لم يعد مهيمنا كما في السابق في مجال احتكاره للتاريخ و الثقافة و الهوية الوطنية ، و اصبحت هناك مجالات ثانوية او هامشية للتعبير على شكل دوائر اجتماعية غير رسمية يتم فيها تداول خطاب مختلف او بديل عما كان موجود في السابق و قد سمحت به الدولة و لم تمنعه طالما انه لم يشكل تهديد للدولة او النظام ، لكن الاشخاص المنتمين لهذه الدوائر الثانوية لم يكونوا وكلاء للتغيير السياسي من الداخل ذلك ان النظام كان يقف و بكل قوة امام اي محاولة للتغيير و قد وضع في هذه المرحلة و ان بشكل غير مباشر حدود على حرية التعبير و نشاطات الافراد في هذه المجالات البديلة او الثانوية [81].

واذا حصل التغيير في العراق فبقوة خارجية ،والتي لم تهتم بالثقافة والنخبة المثقفة و دورها ، يمكن ان تنهار الثقافة و بانهيارها تنهار الجماعة باكملها اي تنهار شبكة التواصل الاجتماعي، ومن الممكن ان تظهر بعد ذلك ثقافة جديدة مختلفة ، و احد عوامل او اسباب انهيار الثقافة الاحتلال الاجنبي ، فبحصوله يحاول المحتل استبدال الثقافة القائمة باخرى جديدة تضمن سيطرته ولا يحصل ذلك الا بانهيار تلك القديمة من خلال تدمير البنى الثقافية و اماكن العلم و تبادل المعرفة ، و التخلص من القيادات الثقافية البارزة و المثقفين المتخصصين و فرض الثقافة الجديدة او ايجاد ثقافة موازية لتلك القائمة تعمل بالتدريج على الحلول محلها [82] .لا بل عملت بالفعل على انهيار الثقافة و التخلص من المثقفين و ايجاد نخبة جديدة مرتبطة بالوضع الجديد ، و كان احد أوامر سلطة الائتلاف المؤقتة حل وزارة الاعلام و جميع المؤسسات التابعة لها [83]، مما جعل عدد كبير من مثقفي العراق يصبحون بلا عمل و لا مصدر مادي يعتمدون عليه في العيش .

يسهم تحطيم ادوات التواصل الاجتماعي و الجغرافي و التاريخي و منظومة القيم القائمة في انهيار الثقافة ، اذ يتم البدء بتحطيم اللغة اداة التواصل بين الناس و بينهم و بين الدولة ، و مع ضعف اللغة يتوقف تطورها و هي احد اهم مكونات الثقافة و التعبير عنها ، و كذلك ضرب النظام التعليمي و بالذات هيئاته القائمة بالتعليم ، و يؤخذ بادخال مفاهيم جديدة معولمة و طرق جديدة في تنظيم العلاقات الاجتماعية و عادات جديدة [84].

وهو ما حصل في العراق ، و زاد الامر سوءا انتشار الجماعات الارهابية على اختلاف اشكالها و مسمياتها في البلد مستغلة المرحلة الانتقالية التي يمر بها و عدم استقرار الاوضاع فيه، و اخذت بفرض قوانين و عادات و تقاليد جديدة على البلد ، لم يشعر فيها الكثير من المثقفين بالامان كما تعرض البعض منهم للتهديد و تخوفوا من القيام باي دور تحسباً من انتقام الجماعات الارهابية ، كما اضطر البعض الى مغادرة البلد اصلاً خوفا على حياته ،اذ فقد العراق الكثير من مثقفيه الذين اثروا السلامة و الحياة على المواجهة و المقاومة و بذا فقدت الحياة الثقافية و من ثم السياسية دوراً مهما كان ممكن ان يؤديه عدد لا باس به من مثقفي العراق .

وهنا تظهر ايضا مشكلة العلاقة بين مثقفي الخارج و مثقفي الداخل الموجودة اصلا منذ هجرة المثقفين اواخر السبعينيات اذ اصبحت العلاقة بينهما يسودها الشك و الاتهام ، ففي حين ينظر مثقفو الخارج الى مثقفي الداخل بعدهم تابعين للنظام السابق ، ينظر الاخيرون اليهم بعدهم خونة جاءوا مع قوات التحالف و اذا تولوا مناصب فلهذا السبب فقط و ليس لكفائتهم، وعملوا لخدمة مصالحهم الذاتية و ليس مصلحة المجموع ، كان مثقفوا الداخل تحملوا سنوات طويلة من الحروب و الحصار واعتقدوا ان الاخرين هربوا و لم يتحملوا المسؤولية معهم ، في حين نظروا الى انفسهم على انهم حماة الثقافة و رعاتها في البلد و مع تغير النظام تغير وضعهم اذ اصبحوا بلا عمل واضطر البعض منهم الى مغادرة البلد خوفا على حياته كما اسلفنا .[85]

و يواجه المثقف العراقي صعوبة التعامل مع المجتمع العراقي ، اذ لا يمكن عده – اي المجتمع – مدنيا بالمعنى الحديث و انما لا يزال في طور التشكيل ، و عليه تقع مهمة المساهمة في تشكيله و بناء الهوية الوطنية الجامعة لكنه يواجه الهوية الطائفية العشائرية السائدة حاليا في المجتمع ،واذا كان المثقف في الماضي يتخوف من المؤسسة الحاكمة فهو اليوم يتخوف من المؤسسة الاجتماعية و الفئات التي منحت نفسها سلطة تقدير ما هو صح او خطا و حلال او حرام و ما هو مقدس من غيره [86]

و لم ينجح المثقفون العراقيون في ايجاد مؤسسات ثقافية مستقلة يكون لها دور و تاثير في المجتمع و تاخذ السلطة بحسبان دورها و تاثيرها ، كما انهم لم ينجحوا في التواصل مع الناس بشكل عملي من خلال انشاء لغة تواصل معهم يفهمونها و ياثرون بهم من خلالها اذ تكون وسيلة في ايصال الافكار و الاراء للمجتمع بكل فئاته [87]، و هنا ياخذون بالانسحاب من الحياة السياسية .

اذا انسحب المثقف المستقل من المشاركة في صنع القرار سيؤدي هذا بالتالي الى ان تكون السلطة ضعيفة لانها ستفتقد سند داخلي مهم يعطيها القوة ، فضلاً عن ابتعاد المجتمع عن صانع القرار لافتقاده الى الوسيط بينهما المتمثل بالمثقف الذي يأس من السلطة و من صانع القرار ،و هنا قد يخضع صانع القرار لتاثير الجمهور الذي شكل تهديد لمصير الحكام في اكثر من دولة عربية و طبعا يكون للمثقف دوره في كشف عيوب النظام و سلوكياته [88].

ولكن اي مثقف؟ اذ اصبح مثقف الطائفة صاحب اليد العليا في النظام السياسي و حتى في المجتمع ، و من ثم تخوف من المثقف غير الطائفي في الوقوف معه في الامور المهمة لان ذلك قد يؤدي الى خسرانه للطائفة التي ينتمي اليها و خسران الاخيرة ما حازته من مكاسب على مختلف الصعد و بالذات الصعيد السياسي ، اي تم تغليب المصلحة الضيقة على المصلحة الوطنية[89].فلم تكن النخبة موحدة و انما مقسمة تقسيمات فرعية طائفية و قومية و دينية بالتوافق مع المحاصصة السياسية التي سادت في البلد و هنا لم يكن لها دور حقيقي على الصعيد السياسي و الاجتماعي .

و رغم ان دستور 2005 قد تطرق الى الاهتمام بالثقافة و حرية التعبير في المادتين 35 ، 38 ?الا ان واقع الحال لم يكن للمثقفين اي دور فعلي في السياسة ، و لم تهتم السلطة السياسية بهم و بالدور الذي يمكن ان يؤدوه على الصعيد السياسي و حتى المجتمعي ، و لجأت الى استخدام وسطاء مختلفين بينهم و بين المجتمع من رؤساء القبائل و الطوائف و تراجع دور المثقف الى الوراء .

ولم تشارك النخبة المثقفة في السلطة بعد 2003، فلو راجعنا مجالس النواب و مجلس الوزراء منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا لم يشارك من النخبة المثقفة الا حسن العلوي و في الحقيقة هو من المثقفين الذين عادوا الى العراق بعد 2003 لذا لا يمكن حسبانه من النخبة المثقفة الداخلية اذ فقد الصلة بها منذ مدة طويلة و عاش تجربة تختلف عن التي عاشوها لذا فالتواصل بينه و بينهم ضعيف ان لم نقل معدوم كما ان التواصل بينه و بين بقية المجتمع بسيط و غير مؤثر فلا يمكنه – ان رغب – قيادة التغيير في المجتمع نحو الافضل ، ويضاف له شك الاخرين فيه ، اما بقية اسماء المثقفين فمجهولة و غير معروفة لدى المجتمع .و البعض منهم ينشط قبيل الانتخابات و ينتمي الى هذا الحزب او ذاك من اجل الوصول الى البرلمان او مجالس المحافظات و يستغل صلاته العشائرية و ليس قدراته الثقافية للحصول على الاصوات ، لذا لا يمكن ان نعد امثال هؤلاء نخبة وسيطة في المجتمع و انما نخبة تتماشى مع الاوضاع السائدة و تحاول الاستفادة منها الى اقصى حد ممكن .

الخاتمة

يضع الفكر مهام كثيرة على المثقف ، لكن الواقع يجعل تطبيقها صعبا ، فالفكر يضعه احيانا في مصاف الانبياء و الرسل ، لكنه في واقع الحال انسان يخضع للواقع الموضوعي الذي يعيشه ، و مع هذا و بسبب من المعرفة التي يحوزها و لقدرته على توظيفها فكريا و مجتمعيا توضع عليه اعباء قيادة المجتمع نحو حياة افضل والتاثير على حائزي السلطة و في المجتمع في ان واحد كونه يمارس دور الوسيط بين الطرفين ، لكننا نجد ان المثقفين يختلفون في مواقفهم

من السلطة و المجتمع و بالذات في عالمنا العربي ، و كان للاحداث الاخيرة التي عاشها العالم العربي و منه العراق ان وضعت المثقفين على المحك

في العراق يمكن القول اننا امام نخبة مثقفة جديدة ، صحيح ان جزء منها استمرار للنخبة السابقة و التي حاولت التماشي مع الاوضاع الحالية ، الا انه لا توجد لهذه النخبة قيادة او قيادات واضحة و لا اسماء معروفة فهي نخبة مفككة و غير موحدة ، و في معظم الاحيان لا تمارس دورا مجتمعيا مهما و ليست اداة للتغيير ،فهي لا تستطيع تغيير واقعها اصلا فكيف بها بتغيير اوضاع مجتمعية صعبة ، ولا تستطيع ان تنقل عادات و افكار جديدة الى المجتمع او حتى خبرتهم اليها او حتى ان تعمل كوسيط بينهم و بين السلطة ، و لا تمتلك سلطة على الناس بحيث تقوم بتعبئتهم ، و تعد سلطة بعض رجال الدين و رجال العشائر اقوى منهم في التعبئة و حراك المجتمع ، و ليس لها اي هذه النخبة المثقفة اي دور سياسي واضح يمكن تسجيله .

الهوامش

[1] علي حرب .اوهام النخبة او نقد المثقف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، **2004** ، ط**3** ، ص **38**

[2] غالي شكري . اشكالية الاطار المرجعي للمثقف و السلطة ، من كتاب الثقافة و المثقف في الوطن العربي ، الطاهر لبيب و اخرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، **1992** ،ص**50** نقلا عن جان بول سارتر ، دفاع عن المثقفين ، الترجمة العربية (بيروت : دار الاداب ،**1973**) ص**11**

[3] **Montserrat Guibernau. Nationalism and Intellectuals :in Nations without States: the Catalan Case, Institut de Ciències Polítiques i Socials, Barcelona, 2003,P.8**

[4] **Leslie tramontini . speaking truth to power? Intellectuals in iraqi Baathist cultural production, focus: middle east ,topics and arguments ,01,2013 p.55**

[5] صقر ابو فخر. نقد المثقف ام موت المثقف ،مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد **8** (العدد **29**شتاء**1997**)، ص**123**

[6] توماس سويل.المثقفون والمجتمع، ترجمة عثمان الجبالي المثلوثي، كتاب العربية، الرياض، **2011** ،ص**179**، **180**

[7] **Leslie tramontini ,op,cit,p.55**

[8] محمد عابد الجابري . المثقفون في الحضارة العربية الاسلامية حفريات حفريات استكشافية ، في كتاب المثقف العربي همومه و عطاؤه ، اعداد انيس صايغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، **2001** ،طبعة ثانية منقحة،ص**44**

نقلا عن :**Le goff,les intellectuels au moyen age,p80**

[9] مصطفى مرتضى. المثقف و السلطة : رؤى فكرية ، شركة روابط للنشر و تقنية المعلومات ، القاهرة ، 2016 ، ص40

[10] ادوارد سعيد . المثقف و السلطة ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر التوزيع ، القاهرة ، 2006 ،ص 45

[11] Foucault,michel and gills deleuze.1977. "intellectuals and power "in language ,counter memory,practice: selected essays and interviews , edited by D.F.Bouchard .Ithaca: Cornell University press. P.207

[12]Matthew S. Krane . THE RESPONSIBILITY OF INTELLECTUALS: CHOMSKY AND STUDENT OPPOSITION TO THE VIETNAM WAR, February 16, 2011, Portland State University P.6

[13] Leslie tramontini ,op,cit, P.54,55 ivsl

[14]Ali Taher Al-Hammood . The State and Nation as Envisioned by Shia Intellectuals in Iraq ,
Friedrich-Ebert-Stiftung, Amman Office August 2017 ,Amman,pp.1,2

[15] ادوارد سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص 43

[16] علي حرب ، مصدؤ سبق ذكره ، ص 31

[17] برهان غليون . تهميش المثقفين و مسالة بناء النخبة القيادية ، من كتاب المثقف العربي همومه و عطاؤه، مصدر سبق ذكره ، ص 85

[18] A.B . Benda Hofmeyr Beyond the ivory tower: the public role of the intellectual today,Phronimon,Vol9(2)2008.p.85

[19] صقر ابو فخر ،مصدر سبق ذكره ، الصفحات 117 ، 118 ،120

[20] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 34

[21] Foucault,michel and gills deleuze,op,cit, P.207

[22] Henry A. Giroux (2003) Betraying the Intellectual Tradition: Public Intellectuals and the Crisis of Youth, Language and Intercultural Communication, 3:3, 172-186, DOI: 10.1080/14708470308668103,P.173, http://dx.doi.org/10.1080/14708470308668103

[23] برهان غليون . تهميش المثقفين و مسالة بناء النخبة القيادية ، من كتاب المثقف العربي، مصدر سبق ذكره ، ص86

[24] A.B . Benda Hofmeyr,op,cit, P.84 ivsl

[25] Ibid ,pp.84,85

[26] Ali Taher Al-Hammood ,op,cit,p.2

[27] Leslie tramontini ,op,cit,p.55

[28]Thomas Osborne . On Mediators: intellectuals and the ideas trade in the knowledge society , Reader in Social Theory ,Department of Sociology University of Bristol , Bristol BS8 1UQ ,UK , P.20,ivsl

[29]Ibid , P.20,ivsl

[30] صقر ابو فخر، مصدر سبق ذكره ، ص118

[31] برهان غليون . مجتمع النخبة ،معهد الانماء العربي ، بيروت ، 1986 ،ص 78

[32] A.B . Benda Hofmeyr,op,cit, P.84 ivsl

[33] مُحَمَّد عابد الجابري ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 38 ، 39

[34] برهان غليون . تهميش المثقفين و مسالة بناء النخبة القيادية ، مصدر سبق ذكره ، ص86

[35] مصطفى مرتضى.، مصدر سبق ذكره ، ص40

[36]Ali Taher Al-Hammood,op,cit,p.2

[37] المصدر نفسه ، ص40،41

[38] صـالح هويـدي . المثقـف العراقـي مـن ثقافـة السـلطة الى ثقافـة المسـتقبل ، نقـد و تنـوير ، العـدد الثـاني ، سبتمبر/اكتوبر/نوفمبر-خريف 2015 ،ص141 ،ص142

[39] صقر ابو فخر، مصدر سبق ذكره ، ص123

[40] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 38

[41] صقر ابو فخر،مصدر سبق ذكره ، ص 123

[42] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 46

[43] Montserrat Guibernau. Nationalism and Intellectuals :in Nations without States: the Catalan Case, Institut de Ciències Polítiques i Socials, Barcelona, 2003,P.8

[44] Leslie tramontini ,op,cit,p.55

[45] ايمن طلال يوسف .خالد مُحَمَّد صافي .التفاعل الايجابي بين المثقف العربي وقضايا الوطن و الامة :ادوارد سعيد و القضية الفلسطينية انموذجا ، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية) المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ، يونيه 2007 ،ص http://www.iugaza.edu.ps/ara/research322

[46] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 38

[47] مصطفى مرتضى، مصدر سبق ذكره ، ص42

[48] روبرت بريم المثقفون و السياسة ، ترجمة و تعليق عاطف احمد فؤاد ،دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ،ص43

[49] المصدر نفسه ،ص14

[50] Leslie tramontini ,op,cit, p.55

[51] توماس سويل .المثقفون و المجتمع ، ترجمة عثمان الجبالي المثلوثي ، كتاب العربية ، الرياض ، 2011 ،ص47

[52] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 39 ،40

[53] صالح هويدي . المثقف العراقي من ثقافة السلطة الى ثقافة المستقبل ، نقد و تنوير ، ص ص 142 ، 143

[54] المصدر نفسه ، ص145

[55] مصطفى مرتضى، مصدر سبق ذكره ، ص106

[56] ايمن طلال يوسف ، مصدر سبق ذكره ، ص 321

[57] Ali Taher Al-Hammood ,op,cit,p.2

[58]Ibid ,p.2

[59] Foucault,michel and gills deleuze,op,cit, P.208.

[60] Miguel Ángel Herrera-Zgaib. The Public Intellectual in Critical Marxism: From the Organic Intellectual to theGeneral

I n t e l l e c t, Pap. Polít. Bogotá (Colombia), Vol. 14, No. 1, 143-163, enero-junio 2009,p.145

[61] Ibid ,p.145

[62] ادوارد سعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص 44

[63] محمد عبد الباقي الهرماسي . المثقف و البحث عن النموذج ، من كتاب الثقافة و المثقف في الوطن العربي ، مصدر سبق ذكره، ص35

[64] محمد عبد الباقي الهرماسي . مصدر سبق ذكره ، ص35 ،36

[65] Montserrat Guibernau,op,cit,p.9

[66] Ali Taher Al-Hammood op,cit ,pp.2,3

[67] صقر ابو فخر ،مصدر سبق ذكره ، ص118

[68] المصدر نفسه ، ص 119

[69] صقر ابو فخر،مصدر سبق ذكره ، ص ص 125 ، 126

[70] المصدر نفسه ، ص123

[71] مصطفى مرتضى.، مصدر سبق ذكره ، ص106

[72] علي حرب ، مصدر سبق ذكره ، ص 42

[73] المصدر نفسه ، ص 42

[74] علي حرب ، مصدر سبق ذكره، ص 53

[75] المصدر نفسه ، ص 54

[76] غالي شكري ، مصدر سبق ذكره ، ص 64

[77] احمد مجدي حجازي . امية المثقف العربي :الابداع و ازمة الفكر السوسيولوجي من كتاب الثقافة و المثقف في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره ، ص 87

[78] محمد صبور . المعرفة و السلطة في المجتمع العربي الاكاديميون العرب و السلطة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 ،ط2 ، ص 16 ،17

[79] صالح هويدي، مصدر سبق ذكره ، ص 147

[80] Leslie tramontini,op,cit,p.55

[81] Geraldine Chatelard. Deferred Involvement: Memories and Praxes of Iraqi Intellectuals as Civil- Society Activists between Iraq, Jordan and Syria. Paper prepared for the workshop on'Memories of Iraq', May 1st-2nd, 2009, University of Mary.. 2009. <halshs-00396283>,P.2

[82] برهان غليون . مجتمع النخبة ، مصدر سبق ذكره ،ص 78

[83] امر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم 2 في 23 /5/ 2003 ، الوقائع العراقية ، العدد 3977 ، 17 /6/ 2003 .

[84] برهان غليون . مجتمع النخبة ،مصدر سبق ذكره ،ص 79

[85] للمزيد انظر محمد غازي الاخرس . خريف المثقف في العراق 1990 ـ 2008 ، التنويرللنشر ، 2011

[86] سعد محمد رحيم ، المثقف الذي يدس انفه ، دار سطور ، بغداد ، 2016 ، ص ص 182 ،183 ،189

[87] المصدر نفسه ، ص195

[88] صالح هويدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ص 152 ، 153

[89] المصدر نفسه ،ص 161

[?] المادة 35 :تراعي الدولة النشاطات و المؤسسات الثقافية بما يتناسب مع تاريخ العراق الحضاري و الثقافي ،و تحرص على اعتماد توجهات ثقافة عراقية اصيلة .دستور جمهورية العراق 2005

المادة 38 : تكفل الدولة بما لايخل بالنظام العام و الاداب : اولا حرية التعبير عن الراي بكل الوسائل ، ثانيا حرية الصحافة و الطباعة و الاعلان و الاعلام و النشر ، ثالثا حرية الاجتماع و التظاهر السلمي و تنظم بقانون ، دستور جمهورية العراق 2005